الفصل الأول

عصر النهضة الأوربية

عصر النهضة وصف يطلق على تلك الحقبة التى نشطت فيها حركة احياء العلوم والمعارف والآداب والفنون فى ايطاليا ثم انتقل منهـا ببطء الى المانيا وفرنسا وبريطانيا والأراضى المنخفضة وأسبانيا ثـم الى بقية دول أوربا . ويرجع بداية ظهور عصر النهضة فى ايطاليا الى عدة أسـباب من أهمهـا :

١ ــ موقع ايطاليا الجغرافى ، وسيطرتها على أسواق التجـارة فى البحر المتوسط ساعد الايطاليين على أن يكونوا على اتصال وثيق بأقـدم الحضارات واعرقها .

٢ ــ ما خلفته الامبراطورية الرومانية من الكنوز الدفينة من الآداب والعلوم هذا الى جانب تراث روما السياسى القديم عنـدما كانت مـوطنا للامبراطورية الرومانية القديمة .

٣ ــ تواجد مقر البابوية فى ايطاليا والمتمثل فى البابا وكرادلته وسيطرته الدينية والدينوية ، جعل الايطاليين يشعرن بسيطرة بلادهم الدينية على باقى جهات أوربا .

٤ ــ تأثر الايطاليين بالثقافة العربية الاسلامية ، واقتباس الكثير منها لاسيما فى مجال العلوم الرياضية والفنون .

٥ ــ الهدوء النسبى الذى تمتعت به ايطاليا وبخاصـة فى القـرن الخامس عشر الميلادى فبينما كانت الدول الأوربية تخوض حروبا واسعة فيما بينها كانت ايطاليا تنعم فى رخاء وسلام مما مكن أبناءها من التفرغ للبحث والاطلاع والاندفاع بعجلة التطور الى النمو والازدهار .

٦ — بروز العديد من الفنانين العظماء الذين تشربوا هذه الـــروح الجديدة واستطاعوا أن يجسموها فى انتاجهم ، ويعبروا عنها فى اعمالهم ، وقد حاول كل من هؤلاء الفنانين الاسهام فى تمثيل جانب من جوانب فن النهضة وبذلك صار رائدا من روادها .

٧ — احتدام التنافس بين المدن الايطالية ، جعلها تتسابق فى المجالات الادبية والفنية ، مما شجع القرائح على الابداع فى شتى المجـالات وانجبه كوكبة من العلماء والفلاسفة والادباء والمفكرين .

٨ — توفر بعض المطابع فى المدن الايطالية ساعد على انتشار الفكر والثقافة .

٩ — وجود العديد من المخطوطات الاغريقية واللاتينيـــة فى المكتبات الايطالية ، وتملك بعض المثقفين الايطاليين لزمام هاتين اللغتين مكنهم من فك طلاسم كثير من المخطوطات والتعرف على محتوياتها .

١٠ — اتساع النشاط الفكرى بين الايطاليين ، وقلة الحواجز الطبقية بينهم جعل لايطاليا قصب السبق فى تبنى النهضة الأوربية .

وعلى كل حال فقد اتخذت النهضة الأوربية فى بداية أمرها اشـــكالا متنوعة اختلفت مظاهرها من بلد الى آخر ففى ايطاليا اتخذت مظهرا فنيا وثقافيا وعلميا وأدبيا ، كما تمثلت فى الانغماس فى اللهو والملذات والترف .

وفى المانيـــا كان مظهـــرها الاصـــلاح الدينـــى . وفى فرنســـا وجـــه الادبـــاء جل اهتمـــامهم الى الابـــداع القصصى والتحليـــل النفســـى ، وتحقيق لمؤلفات القديمة ، والتعليق عليهـــا وفى بريطانيـــا بـــرز الاهتمام بالمسرح والأدبيات ، وكان من أبرز أدبائها وليم شكسبير .

أما فى أسبانيا والبرتغال فقد تغنى الأدباء بالفروسية ، وبالصـــفات التى يتحلى بها الفارس .

ومع كل ذلك فانه يمكن القول بأن لعصر النهضة سمات عامة ومظاهر تعبر عن روح العصر بأكمله .

وعن بوادر النهضة فى ايطاليا فقد بدأ المفكرون والمثقفون يهتمون ببعث واحياء الدراسات الاغريقية واللاتينية واتخاذها مصدرا للالهام والوحى ، فدرسوا مؤلفات أرسطو وسقراط وفرجيل ووضعوا القواميس التى تساعد على تفهمها كما بدأوا فى التنقيب عن المخطوطات والآثار والاستفادة منها ، وقد عرف هؤلاء باسم الانسانيين Humanists لأنهم صوروا الحياة الانسانية بصراحة وصدق ، وكان حبهم للثقافة واضحا وكان من أبرز هؤلاء، الايطالى بترارك الذى أعجب بالطبيعة وتذوق مناظرها الجميلة التى تؤثر فى الانسان والذى كرس حياته لدراسة اللغة اللاتينية باعتبارها لغة الأدب الرفيع التى عرفت أيام قيصر وشيشرون ، وكتب بها بعض قصائده كقصيدة أفريقيا التى تحدث فيها عن الحروب بين روما وقرطاجنة ، واستمر فترة من الزمن لا يقرأ مؤلفات دانتى المكتوبة بالايطالية حتى لا يتأثر بها ويقلـده فى الكتابة بتلك اللغة .

وقد مثلت كتابات بترارك روح عصر النهضة فشاعت عنه أفكارا جديدة منها ضرورة أن يهتم الناس بحياتهم الدنيوية ، ومنها نقده للكنسية ، ومطالبته باقامة وحدة سياسية بين الولايات الايطالية ، حتى تصبح أمة قائمة بذاتها وبعيدة عن نطاق الامبراطورية . ومنها دعوته للأمراء ورجال السياسة فى ايطاليا بالكف عن منازعاتهم . ومنها أيضا كراهيته للحكم الاستبدادى المطلق.

ومع أن البعض مثل « كولادى رينزى » قد حاول وضع آراء بترارك السياسية موضع التنفيذ اثناء حركته التى حاول بها توحيد ايطاليا وجعل روما العاصمة للجمهورية الايطالية الحديثة ، الا أن هذه الحركة لم يتحقق لها النجاح ولم تتحقق أفكار بترارك على بساط الواقع فى حياته .

وعن النهضة الفنية فقد تجلت فى أبرز مظاهرها ومعانيها فى أيطاليا حيث برع الايطاليون فى دراسة الفنون الجميلة والتصوير واهتموا بالآثار القديمة واخذوا فى محاكاتها والارتفاع بمستواها مع مسايرة روح العصر الـذى يعيشون فيه فدب فى الفنون الكثير من روح التغيير وتحرر الكثير من الفنانين من قيود التقاليد واتجهوا الى الاسراف فى الاهتمام بأمور الدنيا بصراحـة بالغة والارتفاع بمستوى الفنون فاخرجوا انتاجا فنيا مليئا بأحسيس الناس ،

كما صوروا الطبيعة وعبروا عنها تعبيرا فنيا رائعا ، وقد ساعد على تطور هذه النهضة الفنية العديد من الحكام والامراء الذين تباروا فى رعاية الفنون وتنافسوا على امتلاك العديد من النفائس الفنية مما مهد الطريق أمام الكثير من الفنانين الذين أماطوا اللثام عن جمال آثار الماضى ، ونهضوا بالفنون أمثال « ليوناردو دافنشى » و « ميخائيل انجلو » و « رافائيل » . وفيما يلى نعرض لهؤلاء ودور كل منهم فى النهضة الفنية .

١ — ليوناردو دافنشى Leonardo da Vinci ١٤٥٢ — ١٥١٩

ولد دافنشى فى بلدة فنشى الجبلية فى ١٥ من ابريل ١٤٥٢ م وامتاز بتعدد ملكاته واتساع ثقافته ، فقد برع فى الطبيعة والميكانيكا وفى تصميم آلات الحرب والنحت والرسم والتصوير والمعمار وعلم وظائف الاعضاء والرياضة والادب وعلوم الطبيعة وعلم التشريح والجغرافيا . هذا الى جانب كونه موسيقيا وشاعرا ، مما دفع البعض الى وصفه بأنه كان موسوعة علمية ضمت شتى العلوم التطبيقية .

وقد احتمل دافنشى المشاق فى سبيل البحث عن الحقيقة العلمية دون كلل او ملل .

كما امتاز فنه بالعمق والبناء الهندسى والرقة . هذا الى جانب القدرة على التعبير عن مكنون النفس البشرية .

ومن أعظم أعمال دافنشى صورتيه الشهيرتين :

عذراء جروتو Virgino the Grotto احداهما فى متحف اللوفر فى باريس ، والأخرى فى المتحف الوطنى فى لندن ، وصورة العشاء الأخير Last Super فى كنيسة سانتا ماريا فى ميلانو ، والتى دل فيها على ابداعه . وتعمقه فى ادراك النفس البشرية وانفعالاتها وردود افعالها وذلك فى المنظر الرائع الذى جمع المسيح وحوارييه الاثنى عشر — على مائدة وضع عليها الخبز واقداح الشراب . وهو يعلن لهم أن أحدهم سوف يخونه وقد ظهر وجه المسيح بصفائه الروحانى وهدوئه فى حين كانت صورة الانزعاج تبدو على وجوه أتباعه .

ولدافنشى أيضا رائعته الشهيرة « موناليزا » أو « الجيـــوكندا » فى متحف اللوفر فى باريس وهى صورة لسيدة شابة جميلة كانت زوجة لضابط يكبرها سنا اسمه « فرانشسكو جيوكندا » وكان هذا الضابط قد أصيب فى رجولته أثناء الحرب مما جعله غير قادر على ممارسة الحياة الزوجية معها مما حرمها متاع الزوجية فى ربيع حياتها ويبدو أن هذه المرأة قد راق جمالها لحاكم نلورنسا .

وقد قام دافنشى بوضع كل طاقاته وامكاناته ومواهبه الفنية خلال رسمه لهذه الصورة التى استغرقت منه أربع سنوات ١٥٠٢ ــ ١٥٠٦ م فخرجت معبرة عما تحمله موناليزا من مشاعر دفينة وعواطف عميقة حزينة ووداعة ممزوجة بجاذبية نادرة .

وتعد الموناليزا أشهر الانجازات الفنية لدافنشى .

وهذه اللوحة لا تزال موضع أعجاب الكثيرين حتى الآن ينبهـــــرون روعتها ، ويصر بعضهم على أن فيها سحرا غامضا يتمثل فى تلك الابتسامة الغامضة التى تحمل سرا كامنا فى نفس صاحبتها ويسعى حاليا الهواة من الاثرياء لاقتنائها ، كما يسعى اللصوص لسرقتها ولكنها ما زالت محفوظة فى متحف اللوفر فى فرنسا حيث شاهدها ويشاهدها الملايين من النـــاس .

والى جانب ذلك فقد ترك دافنشى بعض مؤلفاته التى تدل على موسوعيته وسعة علمه وتعدد مواهبه ومن هذه المؤلفات « كتاب التصوير » الذى تحدث فيه عن التصوير وفنونه ، و « مذكراته » التى تناول فيها بحوثا فى التشريح والجيولوجيا والنبات والميكانيكا وغيرها .

وقد توفى دافنشى فى عام ١٥١٩ م ، بعد أن دفع النهضة الفنية فى بلاده خطوات رائدة ، ووضع بصماته فى صنع عصر كامل الا وهو عصر النهضة الايطالية .

فكان عبقرية جامعة يندر أن توجد مثلها موهبة تمتلك كل تلك الملكات والمهارات التى امتع البشرية بها .

٢ — مايكل انجلو Michelangelo (١٤٧٥ — ١٥٦٤) .

وعن مايكل انجلو فانه يعد من أبرز رواد النحت فى عصر النهضة حيث طغت أعماله الفنية على جميع أعمال معاصريه ، وخاصة وانه مزج فى فنه بين الآراء الافلاطونية المحدثة وتعاليم سافونا رولا وروح دانتى ، والى جانب ذلك كان متعدد الثقافة واسع الافق .

فقد نظم الشعر وبرع فى التصوير وهندسة البناء ، واشتهر بوفرة انتاجه الفنى ، الذى اعطاه طابعا من الألم والقوة والرقة والجمال والسمو فى آن احد .

ومن اشهر أعماله نحته للمجموعة الرخامية الشهيرة التى تمثل العذراء والطفل واتمامه مبنى كنيسة القديس بطرس فى روما .

وقيامه بعمل تمثال موسى عليه السلام فى روما الذى يعد من أعظم أعماله وقد أظهر فيه بوضوح قوة العضلات وقبضة اليد وجمال اللحية وملامح الوجه التى بدأ عليها الغضب والألم والانفعال لما حاق بشعب اسرائيل من العذاب لدرجة أن وصفه البعض بأنه أروع آيات الفن فى العالم ومما يقال عن انجلو بعد نحته لهذا التمثال انه صاح به أن ينطق ثم سقط مغشيا عليه .

والى جانب ذلك قام انجلو بنحت تمثال داود من الرخام وقد نصب هذا التمثال امام قصر امارة فلورنسا .

كما قام بنحت ورسم سقف كنيسة بالفاتيكان ، هذا بالاضافة الى رسمه للعديد من اللوحات الحائطية التى يقدر عددها ما بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ لوحة . وقد عبر انجلو فى تماثيله عن روح العصر الذى عاش فيه ، واستمد فنه من الظروف المهيئة أمامه ومن المعانى التى أحسها بنفسه ، وكرس له كل وقته لدرجة أن كان يعمل معظم وقته وهو مستلقيا على ظهره فوق منصة عالية حتى أخرج للبشرية فنه الرائع الذى أحبه لدرجة العشق .

وقد توفى مايكل انجلو فى عام ١٥٦٤ م بعد حياة فنية حافلة ، ودفن فى احدى كنائس فلورنسا .

٣ — رافائيل Raphael (١٤٨٣ — ١٥٢٠) :

يعد رافائيل ثالث العمالقة الكبار فى فن النحت والتصميم والرسم فقد درس أعمال دافنشى ومايكل انجلو وتلقى الكثير عنهم فى أثناء وجوده فى فلورنسا ، كما استفاد منهم فى أعماله الفنية ، فقد استفاد من دافنشى طريقة توزيع الضوء والظل فى لوحاته ، كما تأثر بعبقرية مايكل انجلو فى توضيحه لمعالم الجسم الانسانى ثم فاقهما فى الابتكار والابداع واختلف عنهم فى بعض الاحيان وقد رسم رافائيل لوحات عديدة للعذراء مريم . كما قام بتزيين قاعات الفاتيكان وزخرفة بعض غرفه والى جانب ذلك له روائع فنية أخرى تدل على عبقريته مثل « مدرسة اثينا » و « السر المقدس » الذى لخص فيه تاريخ الكنيسة .

وقد توفى رافائيل فى عام ١٥٢٠ عن سن لا يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره بعد أن ترك انتاجا ضخما فى ميدان التصوير والعمارة . وعلى كل حال فان دافنشى وانجلو ورافائيل يشتركون معا فى ابراز معالم النهضة الفنية فى ايطاليا لدرجة جعلتها فى طليعة ما قدمه الفنانون للبشرية من ابداع فقد أخرجوا لها انتاجا فنيا افتخرت به العديد من الأجيال وعدته نبراسا لها فى محاكاته .

يضاف الى ذلك أن عصر النهضة حفل بالعديد من المفكرين الذين طرحوا أفكارهم وآراءهم فى شتى ميادين المحياة وفى الفكر السياسى واصول الحكم

وكان من أبرز هؤلاء نيقولا ميكافيللى ، ودانتى وفيما يلى نعرض لأبرز أعمال كل منهما .

أولا : نيقولا ميكا فيللى Niccolo Machiavelli (١٤٦٩ — ١٥٢٧) :

ولد ميكا فيللى فى فلورنسا فى مايو ١٤٦٩ م من عائلة نبيلة ، وعاش زمن سافونا رولا وآل مديتشى .

وقد درس ميكا فيللى العلوم السائدة فى عصره فتعلم اللاتينية ودرس الآثار الرومانية واليونانية ، وكذلك التاريخ ثم برز اهتمامه فى الدراسات

السياسية والتاريخية فقرأ السياسات لأرسطو ، وقرأ خطب شيشرون وكتبه السياسية كما قرأ الالياذة لفرجيل ، وكان حريصا منذ صباه على تثقيف نفسه ثقافة تاريخية وسياسية .

وقد خدم ميكا فيللى فى حكومة فلورنسا لمدة ١٨ سنة وخلالها كلف بعدة مهام دبلوماسية .

ولقد إشتهر ميكا فيللى فى عالم السياسة بمؤلفه الشهر « الأمير » الذى كتبه عام ١٥١٣ م وأهداه الى حاكم فلورنسا لورنزودى مديتشى Lorenzo de Meedici

كما برزت آراؤه السياسية ايضا فى كتابه المسمى « المقالات أو الخطط »

وبالنسبة لكتاب الأمير فقد استمده من ظروف ايطاليا المضطربة ، وهو عبارة عن آراء ونصائح للحاكم لكى يخرج ايطاليا من الفوضى الى حياة الاستقرار وقد صور فيه أميرا وطنيا يستطيع انقاذ ايطاليا من الانقسام الذى تعانيه ويتمكن من توحيدها والقضاء على الغزو الخارجى الذى يتهددها . وأن يتبع من أجل تحقيق هذه الاهداف مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، فدعا الى تركيز السلطة فى يد حاكم قوى فى فترة مؤقتة تنتهى الى الحياة الديمقراطية وقد أبرز ميكافيللى فى كتابه عدة نظريات سياسية منها أن خير حكم يرجوه لبلاده هو الحكم الاستبدادى المستنير الذى لا يعبأ بالأخلاق أو المثل اذا كانت ستقف عقبة فى طريق النجاح وأن يجب الفصل بين الاخلاق والسياسة ، لأن السياسة لا مكان فيها للأخلاق ، ولا مانع للحاكم . من استعمال الغش والخداع من أجل تحقيق الأهداف السياسية العليا للبلاد ، ومن أجل اقرار الأمن ، ومنع الفوضى والاضطراب وضرب مثلا على ذلك بقوله اذا وجد قاطع طرق يعيث فى الأرض فسادا أو يغتصب فى منطقة نائية فلا غبار مطلقا على الحاكم الحريص على مصلحة شعبه من أن يؤمن هذا اللص ويتعهد له بالمحافظة على حياته ثم يغدر به » .

---

(٣) نشر هذا الكتاب فى عام ١٥٣٢ بعد وفاة مؤلفه بخمسة أعوام .

كما أوضح ميكافيللى أن معظم الناس أشرار يخلفون العهود لذلك يجب على الحاكم أن يتخذ نفس هذا السلاح فلا يحافظ على العهود والمواثيق ، وقواعد الأخلاق والدين ، بل يجب عليه ، أن يتخذ كل أسلحة الغدر والشر ، والمبادىء المنافية للآداب الانسانية لاقرار الأمن فى المجتمع ، وطالما انه غير مجبر على تنفيذ وعوده فلا داعى لأن يقوم بتنفيذها ، وعلى الرغم من ذلك فان ميكا فيللى ينصح الحاكم بأن يحاول دائما أن يكسب ثقة شعبه وصداقته لأنه الملجأ والملاذ فى أوقات الشدائد .

والكتاب ايضا يشتمل على دراسات لتجارب الماضى والحاضر فيتطرق الى الحكم اليونانى والامارات الايطالية منذ العصور الوسطى وحتى عصر النهضة وبه ارشادات يقدمها للأمير كى يستفيد منها فى أثناء حكمه ، فتنصحه بأن يعمل لخير شعبه حتى يأمن كراهيته ، وفى نفس الوقت يكون طاغية وغادرا حتى يستطيع الاستمرار فى حكمه ، ويرهبه الناس ويخشون بأسه ، ولما كان المال ضروريا لاستمرار الحاكم فى منصبه ، فقد رأى ميكا فيللى ضرورة توفر المال لدى الحاكم حتى يستطيع تدبير مصالح شعبه ، فى حين كان يرى أن يظل الشعب محدود الثروة حتى يتحفز للعمل والانتاج ورفع مستوى معيشته ، لأنه لو توفر لديه المال يركن الى الكسل والخمول .

وعلى الرغم من دفاع ميكا فيللى عن استبداد الحاكم لشعبه فقد كان يرى ان الحكم الجمهورى الديمقراطى والحرية السياسية هما المثل الأعلى للحكم عنده .

ونادى ميكافيللى بتوحيد ايطاليا وطرد البرابرة الذين اعتدوا عليها فى الشمال ، وطالب بضرورة تكوين جيش قوى يستطيع حماية الأمن الداخلى ، وحذر من الاعتماد على جيوش دول أجنبية فى الدفاع عن الوطن ، أو الاعتماد على جنود مرتزقة لأن هؤلاء لا يقاتلون بحماس فى سبيل قضية يدافعون عنها بل ان هدفهم هو جمع المال فحسب ، وكثيرا ما ينقلبون على مستأجريهم ويعيثون فى بلادهم فسادا ، وقد ضرب العديد من الأمثلة على ذلك ومنها أن الجمهورية المسلحة التى يدافع عنها أبناؤها يكون خضوعها للأجنبى أصعب من خضوع الجمهورية المحمية بجيش مأجور من المرتزقة .

وطالب ميكيافللى الأمير بألا يكون جاهلا بفنون الحـرب حتى يظـل محترما من جنده وأن يكون محاربا قادرا على احتمال الشدائد محتقرا للمآكل والمتعة وسائر أنواع الترف حتى ينال محبة جنده ومواطنيه (٤) .

وينصح ميكيافللى الأمير بان يختار رجاله ومعاونيه من أصـحاب المواهب العقلية الذين يصدقونه النصح حتى تصبح حكومته مثالية ويلتف حولها الشعب .

يضـاف الى ذلك أنه نسب الى البابوية كل المصـائب التى لحقت بايطاليا .

ومما يؤخذ على كتاب ميكيافللى انه ركز مقومات الدولة فى دعامتين هما الجيش والسياسـة واغفل مقومات مهمة أخـرى مثل الدين والاقتصاد والثقافة .

يضاف الى ذلك أنه سخر من الأديان بقوله « ان وضع دين جديد أمر سهل وميسور » كما انه كان متشائما حين تغافل عن المقومات الانسانية واخضع كافة الأمور ، للسياسة ، وحين طالب الشعب بأن يكون أداة مسخرة فى يد الحاكم .

ومما سبق يتضح أن ميكيافللى كان مؤرخا بلا قلب فقد بلور أفكاره فى كتابه الأمير كما يلى :

١ — أن يفصل الحاكم بين السياسة والأخلاق القويمة .

٢ — ان يتخذ الحاكم كل الاجراءات اللازمة للوصول الى غايته ولا مانع من استعمال البطش والخداع والمواربة من أجل تحقيق أهداف بلاده .

٣ — ان توحيد ايطاليا والدفاع عنها يلزمه بناء جيش قـوى من الايطاليين أنفسهم ، والابتعاد عن استخدام المرتزقة من الجنود .

---

(٤) نيقولا ميكافيللى : كتاب الأمير — تعريب محمد لطفى جمعة ، القاهرة ، مطبعة المعارف ١٩١٢ ص ١٣٧ .

٤ — ضرورة فصل الكنيسة عن الحكومة حتى يمكن توحيد ايطاليا

ونتيجة لذلك ظلت الميكافيلية لمدة تزيد على الأربعة قرون عالقة فى ذهن العالم على انها مرادفة لشىء شيطانى وخبيث ، كما ظل ميكا فيللى رمزا شهيرا للسياسى المتآمر والماكر والمنافق المجرد من الاخلاق والعديم المبدأ والمستهتر والذى تنحصر كل فلسفته فى ان الغاية تبرر الوسيلة ، واصبح كتاب الأمير ضروريا للطغاة كى يعلمهم كيف يحصلون على السلطة ويحتفلون بها .

وقد نقلت افكار ميكا فيللى الى لغات عديدة منها العربية فقد عرفت مصر كتاب الأمير — أول ما عرفته فى عصر محمد على حيث قام بترجمته — ترجمة ركيكة صعبة الفهم — مترجم سورى هو الأب انطون رفائيل زاخورة (٥) بناء على أوامر محمد على .

والجدير بالذكر أن محمد على بعد أن قرأ الكتاب (٦) فى عام ١٨٢٨ قال عنه « اعترف بأننى قد وجدته أقل بكثير مما كنت أتوقع ، ومن الشهرة التى له » .

وفى بدايات القرن العشرين عرفت مصر الترجمة الثانية لهذا الكتاب قام بها الاستاذ محمد لطفى جمعه ، وقد طبعت فى عام ١٩١٢م واسلوبها اكثر دقة ووضوحا واقرب الى الفهم من اسلوب الترجمة الأولى .

أما عن كتاب « الخطط » فقد وضع فيه ميكا فيللى رؤيته التى تصورها لانشاء دولة قومية موحدة فى ايطاليا على غرار ما حدث فى بعض الدول الأوربية الأخرى ، وعد فيه الدول فوق كل شىء خاصة وانه كان يعتقد ان مصلحة الشعب مرتبطة بازدهار الدولة وتطورها .

---

(٥) مخطوطة هذه الترجمة كانت موقوفة على مكتبة مسجد سيدنا الحسين ثم نقلت منها الى دار الكتب المصرية حيث حفظت تحت رقم ٤٣٥ تاريخ .

(٦) ترجم هذا الكتاب الى التركية أيضا لعدم اتقان محمد على اللغة العربية .

وعلى كل حال فقد انتشرت آراء ميكا فيللى فى بعض دول أوربا بعد وفاته فى عام ١٥٢٧م حيث حاول بعض ملوك أوربا تطبيقها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ونذكر من هؤلاء ملوك فرنسا وأسبانيا وروسيا وبروسيا الذين حاولوا على فترات متباينة فى تاريخ بلادهم أن تكون الميكافيلية نبراسا لحكم بلادهم لدرجة ان أصبح اسم ميكيا فيلى علما على كل سياسى متشدد لا تقف الاخلاق امامه عندما يقوم باقتراف اقظع الآثام من أجل تحقيق غايته .

ومع كل ذلك فيبقى أن نذكر أن افكار ميكا فيللى يمكن أن تصلح لعصر بعينه ، ولمجموعة معينة من الظروف ، ولا يمكن ان تكون نبراسا للحكام على مر العصور .

ثانيا : دانتى اليجيرى Danta Alighieire **(١٢٦٥ — ١٣٢١ م)**

أما عن الشاعر السياسى دانتى والذى يعد من القمم العالية فى مجال الأدب العالمى فقد كان خير شاهد على نهاية عصر وميلاد عصر جديد خصوصا وانه عاش فى مفترق الطرق بين عصرين فتأثر بتقاليد العصور الوسطى وساهم فى الوقت نفسه بدور مهم فى اقامة العصر الحديث (٧) .

وقد ولد دانتى فى مدينة فلورنسا عام ٩٦٢هـ / ١٢٦٥ م من أسرة نبيلة فقدت ثروتها وسلطانها وقت ولادته وأصبح حالها متواضعا للغاية ، يضاف الى ذلك أن دانتى فقد والديه وهو لم يكتمل بعد دور الشباب .

وكان دانتى منذ صغره مولعا بسماع القصص ، وقد درس اللاتينية القديمة والم باثار اليونان والشرق القديم وتراث العصور الوسطى فى جامعتى بادوا وبولونيا ، كما درس الفلك والرياضيات والفلسفة وعلوم الدين والى جانب ذلك قام بدراسة الشعر ، واحب الأدب حبا كبيرا .

---

(٧) يعد المؤرخ المصرى الدكتور حسن عثمان من ابرز الاساتذة المصريين الذين تعرضوا لدراسة دانتى وترجموا العديد من مؤلفاته .

ومن يستعرض حيـــاة الشاعر دانتى يجـــد انها تقســـم الى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى وخلالها أقبل على الشعر خصوصا الغزلى منه ، وفيها وصف حبه لمحبوبته « بياتريشى » التى رآها فى التاسعة من عمـــرها وتعلق بها وقـــد ظهر ذلك فى كتابه « الحياة الجديدة » .

المرحلة الثانية : وقد انفردت بتحمسه للعلوم السياسية والفلســـفية ورغبته فى انقاذ ايطاليا من ويلاتها ونكباتها .

المرحلة الثالثة : ويبرز فيها رغبته فى الاصلاح الدينى والســـياسى .

كما تبرز قدراته ونضوجه وينتمى الى هذه المرحلة كتاباه الملكيـــة والكوميديا التى سميت فيما بعد بالالهية .

وكتاب الملكية وضعه دانتى باللاتينية ودعا فيه الى توحيد ايطاليـــا فى نطاق الامبراطورية وسلطاتها فى أوربا كما عرض فيه لفنون السياسة ، وذكر ان العالم يجب أن يحكم بواسطة سلطتين احـــدها ســـلطة البابا الدينية ، والأخرى سلطة الامبراطور الزمنية ، وأن كلا من هذين الحاكمين يتلقى سلطانه من الله سبحانه وتعالى مباشرة بحيث لا يكون احدهما تابعا للآخـــر ، بحيث يتفـــرغ البابـــا للمســـائل الدينيـــة . وتوضـــيح تعاليم المســـيحية والدعـــوة الى الخلق الكـــريم على حـــين يتفـــرغ الامبراطور للأمـــور السياســـية وتنظيـــم العلاقـــات بين الحكـــومة والمحكـــومين ، وبين الحكومات وبعضها .

وطالب دانتى فى هذا الكتاب أن يتعاون البابا والامبراطور من أجل مصلحة الرعية ، وتنفيذ قواعـــد الاخلاق ، كما يتعاونـــا من أجل تحقيق الاستقرار والسلام بين كافة الشعوب .

والى جانب ذلك كان دانتى من أوائل من أدرك قيمة وحدة ايطاليـــا السياسية ومن أقواله حول ذلك مؤنبا ايطاليا « يا ايطاليا : ايتها العبـــدة

الذليلة ، ياسفينة بغير شراع وبغير سلاح وسط العاصفة الهوجاء ، أنظرى الى سواحلك وأطرافك واجميعها الى صدرك » .

ومن دراسة هذا الكتاب يتضح رغبة دانتى فى فصل السلطة الروحية عن السلطة الزمنية ، مما يعنى أنه سبق بهذا التفكير فلاسفة الثـــورة الفرنسية ، كما يتضح أنه يتمسك بفكرة الامبراطورية التى تجعل شعوب أوربا كلها تحت حكم امبراطور واحد ، يكون مقره روما ، وهى الفكرة التى كانت سائدة فى العصور الوسطى مما يعنى أن مشاركته فى ظهور العصر الحديث لا يعنى تخليه تماما عن أفكار العصور الوسطى ، ومما يعنى ايضا اختلافه مع رأى بترارك الذى نادى باستقلال ايطاليا عن الامبراطورية ، وتكوين أمة مستقلة عنها . وقد اتجه دانتى بعد ذلك الى الكتابة بالعامية وهى اللغة التى تكونت منها الايطالية والتى يفهمها الايطاليون ويستطيعون قراءتها والتعبير عن متطلباتهم . وقد عبر دانتى فى كتاباته بالعاميـــة عن العواطف الانسانية فظهرت أمام الناس وكأنها لغة دقيقة التعبير فى كافة الأمور .

كما أنه قام بتأليف مؤلفه الشهير « الكوميديا الالهية » باللهجة التى كانت سائدة فى مقاطعة توسكانا وهى احدى اللهجات التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت ، مما شجع الشعراء ، والكتاب الآخرين للســير على منواله، كما أنه نظم قصائده الشعرية بالايطالية والتى من أشهرها « الحيـــاة الجديدة » التى خلد فيها اسم حبيبته بياتريشى Beatrice والتى كانت السبب فى تأليفه للكوميديا الالهية .

والدراسات التى تعرضت لدانتى أوضحت أنه على الرغم من أن حبه لبياتريشى قد ملك عليه كل كيانه وجعله يرفعها فوق مصاف البشر فانه لم يكن متكافئا خاصـــة وانه كان من أسرة متواضعة على حين كانت هى ابنة أحد أثرياء فلورنسا ، ونتيجة لهذا التفاوت الطبقى بينهما حرم من لقاء فتاتـــه على مسرح الواقع مما دفعه أن يتصورها فى خياله ، وقد زاد من حزنه أنه رآها تتزوج من رجل آخر فى مثل ثراء والدها يدعو « سيمون دابردى » ثم انفطر قلبه عندما علم بوفاتها وهى فى شرخ شبابها ومن هنا بدأ يحاول مرافقتها فى خياله فى مرحلة ما بعد الموت فمضى حوالى ثمانية عشر عاما يكتب

حتى هداه خياله الى تأليف الكوميديا الالهية التى تضم حوالى خمسة عشر ألف بيتا من الشعر مقسمة الى ثلاث أقسام وتشمل رحلته الى الجحيم أى جهنم ، والمطهر أى الاعراف ، والفردوس أى الجنة ، وقد صحب معه فى هذه الرحلة الشاعر الكبير فرجيل الذى كان بمثابة المرشد له .

وفى الكوميديا الالهية قام دانتى برحلة خيالية الى عالم الأموات ووصف ما شاهده فيها وصفا بديعا ، فذكر أنه خلال زيارته للجحيم وجد مكتوبا على بابها جهنم ، وعندما دخله رأى الشاعر فرجيل رفيقه فى هذه الرحلة ، وقد شحب وجهه خوفا وفزعا ، وقد صارا فى نهر يمتد الى طبقات جهنم وقد وصف نزلاء جهنم بأنهم أرواح الرهبان الذين باعوا صكوك الغفران للناس وغيرهم ممن ارتكبوا الجرائم فى الدنيا ثم انهما بعد ذلك وصلا الى قصر منيف تحوطه أسوار سبعة تمثل الفنون السبعة أو الفضائل السبع ، ثم شاهدا جدولا يختفى ، وكذلك أرضا خضراء لا تلبث أن تختفى أيضا ، فعندما اقتربا منها لم يريا سوى سطح خزفى أشبه بشىء ميت ، وبعد ذلك شاهد الشاعران أربعة اشباح هم شعراء العصور القديمة العظام « هومير » ، و « أوفيد » ، و « لوكان » ، و « هوراس » ، ولما طلب فرجيل من دانتى أن يقوم بتحية هومير ، يتقدم اليه فيستقبله هومير وسيفه بيده ويحييه باعتباره سادس الشعراء ، وبعد ذلك يستأنف الشاعران جولتهما فى الجنة فيشاهدان عظماء العالم القديم أفلاطون وأرسطو ، كما يشاهدان بعض علماء وزعماء المسلمين أيضا أمثال ابن رشد ، وصلاح الدين ، والى جانب ذلك رأيا المسيح جالسا .

وقد قسم دانتى الجحيم الى درجات ، ووضع فى كل درجة مجموعات من مرتكبى الخطايا والعقاب الذى يستحقونه .

وعن المطهر فقد صوره دانتى على شكل جبل مرتفع ، ووضع فى طبقاته المرتفعة أنواع المخطئين وعقاب كل منهم موضحا أن عقابهم مؤقت ولفترة محدودة ينقلون بعدها الى الجنة نظرا لأنهم تابوا عن خطاياهم فى أثناء حياتهم .

أما الفردوس فقد وضع فيه دانتى الأتقياء والصالحين التى اتبعوا

قواعد الفضيلة فى حياتهم ، وجعل هذا الفردوس على شكل طبقات ترتفع تدريجيا حتى تصل الى الذات الالهية فى النهاية .

وتصور دانتى أنه رأى حبيبته بياتريشى فى الفردوس وارتقى معهـا فى طبقاته الواحدة بعد الأخرى .

ويتضح لمن يدرس الكوميديا الالهية أن صاحبها استمد موضوعاتها من عناصر وثقافات متنوعة من القديم والحديث ومن المشرق والمغرب والجنوب والشمال ، ومن الأسطورة والتاريخ ، والسياسة والعلم والدين واللاهوت والفلسـفة والطبيعة والمجتمع والفن بالاضـافة الى أنه استمدها من ذاته وتجاربه ، كما يتضح محاولات مؤلفها معرفة أسرار ما بعد الموت . ومع أنها تتميز بالطابع الخيالى فان أهميتها ترجع لعمق ما فيها من أفكار استهوت عقول الكثيرين لدرجة أن العديد من الأدباء يفردون لها مكانا مرموقا فى الأدب العالمى ، وخاصة وأن صاحبها امتاز بتعمقه فى ابراز المعـانى الدينيـة والاجتماعية والسياسية وشتى أنواع المعارف باسلوب رشيق ، كما تبرز أهميتها فى أن صاحبها أول من أثبت صلاحية اللغة الايطالية فى التعبير عن كل المعانى الانسانية وما تتطلبه حاجيات الانسان والمجتمع ، ويبدو أن دانتى أراد بكتابة الكوميديا أن يعوض نفسه عما ناله من حياة العسـف ونكران الجميل ، وأن يقيم عالما يسوده الحق والعدل والصفاء والحرية والسلام .

وعلى كل حال فلا يستطيع أحد أن ينكر ولا دانتى نفسه أنه استفاد أثناء كتابته للكوميديا الالهية من العلوم الاسلامية التى أعجبت بها أوربا فى ذلك الوقت وسعى اليها زعماء الفكر فيها .

فلدى مقارنة الكوميديا الالهية بما كتبه محيى الدين بن عربى (٨) . واستاذه ابن ميسرة تظهر مشابهات بارزة . وفى هذه المتشابهات من الدقة والتفصيل ما يجعل أن التشابه بينهما لم يكن أمرا عرضيا أو توارد خواطر بل كان من تأثر مباشرة بهذه الكتابات .

---

(٨) صاحب كتاب الفتوحات الملكية وأمير المتصوفة الاسـلاميين فى الاندلس .

يضاف الى ذلك ان دانتى اعتمد على رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ونقل عنها بعض الأفكار وان كان قد عالجها بذكاء ويؤكد ذلك ان هناك روحا مشتركة تتخلل القصتين من ناحية المعنى الاخلاقى المنبثق عن التصوف ، والرحلة السماوية وما ترمز اليه من تجديد النفس بالايمان وممارسه الفضائل الدينية والتأمل فى جوهر خالق ملكوت السماوات والأرض .

هذا الى جانب ان الترتيب العام للجنة والمطهر والجحيم عند دانتى يشابه تماما ما هو معروف فى الثقافات الاسلامية عن الجنة والنار .

يضاف الى ذلك ان تمجيد بياتريشى وهو الغاية الصريحة من الكوميديا له سوابق فيما صدر عن متصوفى الاسلام . من تعابير انجذابية ، فعروس الصوفى الروحية هى الملاك الحارس لحبيبها ، ومن مكانها الأرفع ترعاه وتقوده الى طريق الفضيلة والكمال ، وبعد موت الحبيب يجدها بجمالها المشرق تنتظر لقياه فى الجنة .

وهذه الصورة عن المرأة نجدها أيضا فى الجزيرة العربية وخاصة عند بنى عذرة فى شمال الحجاز ، ومن هنا نشأت عبارة « الحب العذرى » كما نجدها فى كتاب « طوق الحمامة » لابن حزم .

ويؤكد اعتماد دانتى على المصادر الاسلامية ان عقله كان متفتحا على آراء عصره ، وان عصره كان مشبعا بالعلم والفن الاسلاميين ، وفضلا عن ذلك فانه من المحتمل أن يكون قد تعرف على هذه المصادر عن طريق استاذه « برونيتو لاتينى » الذى عاش فى طليطلة كسفير لفلورنسا فى بلاط الملك « الفونسو الحكيم » المتعلق بالحضارة الاسلامية .

والجدير بالذكر ان المستشرق الأسبانى أسين سلاثيوس قد اكد ذلك فى خطاب القاه فى الاكاديمية الملكية الأسبانية فى ٢٦ من يناير ١٩١٩ فاعلن صراحة أن دانتى فى الكوميديا الالهية قد تأثر بالاسلام تأثرا عميقا واسع المدى يتغلغل حتى فى تفاصيل تصويره للجحيم والجنة (٩) .

---

(٩) د. عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الأوربى ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٦٧ ص ٤٩ .

هذا عن ايطاليا ، ودورها فى عصر النهضة الأوربية أما عن المانيا فقد تميزت النهضة هناك بالدعوة الى الاصلاح الدينى عن طريق دراسة الكتاب المقدس ومحاربة المفاسد التى لحقت بالمسيحية ، وقد تزعم هذه الحركة « مارتن لوثر » ، فاحتج على صكوك الغفران وتعرض لنظام الكنيسة وطالب باصلاحه ، وقد اكتسحت هذه الحركة معظم الطبقات فى المانيا .

وبالنسبة لفرنسا فقد ظهرت بوادر النهضة بها فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى ، وكانت بدايتها فى الجامعات الفرنسية خصوصا جامعة باريس ، وكانت أبرز ملامح عصر النهضة فى فرنسا هى عناية الأدباء بالابداع القصصى والتحليل النفسى ، وقد تجلى ذلك فى كتابة القصص والمذكرات والتحليل النفسى والخلقى وقد برز من هؤلاء رابليه ومارجريت نافار وبرانتوم ومونلوك .

أما عن انجلترا فقد اتجهت النهضة فيها الى جعل الآداب القديمة فى متناول أيدى المثقفين ، وقد بلغ الانتاج الأدبى ذروته فى مؤلفات شكسبير ، والى جانب ذلك فقد كان للمسرح الانجليزى دوره فى النهضة حيث قدم العديد من الروائع الأدبية المليئة بالمفاجات والمغامرات وتحليل النفس البشرية وطباعها .

ومما سبق يتضح أن أبرز نتائج عصر النهضة فى أوربا هى :

١ — اضعاف سيطرة الكنيسة .

٢ — انهاء عصر الاقطاع .

٣ — ابراز حرية البحث العلمى وانهاء سيطرة الكنيسة ، ورجال الدين عليها .

٤ — ظهور اللغات الجديدة ، وانهاء دور اللغة اللاتينية كلغة وحيدة لمعرفة العلوم والآداب الأوربية .

٥ — ظهور الطباعة مما ساعد على انتشار المؤلفات وذيوعها وطبع الكتب القديمة وايجاد وحدة للفكر والثقافة بين شعوب غرب أوربا .

٦ — اكتشاف العديد من المخترعات التى كشفت الكثير من الأسرار العلمية ، وساعدت على تقدم الانسان .

٧ — بروز دور الجامعات والمدارس وتوقف السيطرة الكنسية عليها ، وقيامها ببعث التراث القديم ، واحياء الحركة العلمية والأدبية بوجه عام ، واقبال عدد كبير من الدارسين على هذه الجامعات

٨ — ظهور حركة الكشوف الجغرافية وارتياد البحار ، ونجاح الرحالة الأوربيين فى كشف طرق جديدة حيث استطاع فاسكو دى جاما اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح كما استطاع كولمبس اكتشاف الدنيا الجديدة .

٩ — التنقيب عن الآثار القديمة ودراستها والكشف عن العديد من الآثار الرومانية القديمة وبعثها من مرقدها .

١٠ — نمو شخصية الفرد وابراز دوره وما يصدر عنه من أفكار وأعمال وهدم الحواجز التى تمنع النفس البشرية فى التعبير عن نفسها .

١١ — ظهور طبقة جديدة من ابناء الشعب تجمعت بين أيديها الكثير من الثروات .

١٢ — خروج الأوربيين على القواعد الخلقية والتعاليم المسيحية وتحللهم من قيودها .

١٣ — الاهتمام بدراسة العلوم المتصلة بالظواهر الطبيعية مثل الجغرافيا وعلم الفلك وذلك فى محاولة للتعرف على التضاريس والمناخ والتيارات البحرية ، وغيرها ، والتى كان من نتائجها تمكن العالم الايطالى « جاليليو » فى اثبات أن الأرض ليست مركز الكون بل الشمس هى محوره الذى تدور حوله الكواكب بما فيها الأرض .